الحكيم

لقد تحدث القرآن الكريم عن الحكمة، وبيّن سبحانه أنه:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾(١).

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٢).

ولقد آتى الله الحكمة داود عليه السلام:

﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾(٣).

وآتى الله الحكمة آل إبراهيم..

وآتى الله سبحانه محمداً ﷺ الحكمة، وجعل شطر رسالته تعليم الحكمة:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(٤).

ولقد ذكر الله سبحانه أمثلة للحكمة، منها بعض ما أوحاه الله إلى محمد ﷺ، وقال في نهايته:

﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾(٥).

(١، ٢) سورة البقرة: ٢٦٩.
(٣) سورة البقرة: ٢٥١.
(٤) سورة آل عمران: ١٦٤.
(٥) سورة الإسراء: ٣٩.

إنه سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا (٢٨) وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥) وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦) وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ

مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾(١).

ومنها ـ كمثال ـ بعض ما آتاه لقمان قائلاً:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾(٢).

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(٣).

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾(٤).

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٥).

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣ ـ ٣٩.
(٢) سورة لقمان: ١٢.
(٣) سورة لقمان: ١٣.
(٤) سورة لقمان: ١٤.
(٥) سورة لقمان: ١٥.

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾(١).

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(٢).

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾(٣).

وإننا إذا تروَّينا فيما ذكره الله سبحانه من الحكمة؛ وجدنا أنها مبادئ فى العقيدة أصفى ما تكون العقيدة، ومبادئ فى الأخلاق أكرم ما تكون الأخلاق.

تتضمن الحكمة ـ إذن ـ الصدق عقيدة وأخلاقاً، وأن كل ما يساير الدين الصحيح فى العقيدة والأخلاق هو من الحكمة.

وكلما استغرق الإنسان فى الجو القرآنىِّ وفى الجو السلوكىِّ للرسول ﷺ، ثم تحدَّث فى العقائد وفى الأخلاق مستمداً من القرآن والسُّنَّة وملتزماً لأنوارهما، فإنه ينطق فى إطار الحكمة.

والصوفية لما لهم من صحبة طويلة للقرآن، واقتداء مستمر برسول

---

(١) سورة لقمان: ١٦.

(٢) سورة لقمان: ١٧.

(٣) سورة لقمان: ١٨، ١٩.

الله ﷻ ، ولما فى قلوبهم من نور القرآن وهَدْى السُّنَّة ، فإن كلماتهم تشتمل على كثير من ألوان الحكمة .

ونذكر لذى النون ما يأتى :

قال ذو النون : قال الحسن :

« **ما نخاف عليكم مَنْعَ الإجابة ، وإنما نخاف عليكم مَنْعَ الدعاء** » .

وقال ذو النون :

« **ليس بعاقلٍ مَنْ لم يُنْصَفْ مِنْ نفسه وطَلَبَ الإنصافَ مِنَ الناس** » .

وقال :

« **كل مُطيعٍ مُستأنسٌ، وكل عاصٍ مُسْتَوحشٌ. وكل محبٍّ ذليلٌ ، وكل خائفٍ هاربٌ ، وكل راجٍ طالبٌ** » .

وسُئل ذو النون : ما سبب الذنب ؟

قال :

« **اعقلْ ـ وَيْحَكَ ـ ما تقول، فإنها من مسائل الصِّدِّيقين.. سبب الذنب النظرة ؛ ومن النظرة الخَطْرة.. فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله: ذهبتْ .. وإن لم تتداركها امتزجتْ بالوساوس : فتتولد منها الشهوة .. وكل ذلك ـ بعد ذلك ـ باطن لم يظهر على الجوارح .. فإن تداركت الشهوة ؛ وإلا تولَّد منها الطلب . . فإن تداركت الطلب: وإلا تولَّد منه الفعل** » .

وقال :

« **مَنْ عَرَفَ قَدْرَ الدنيا كلها لم يكنْ للدنيا عنده قَدْر** » .

وقال :

« **لم يزلِ المنافقون يَسخرون بالفقراءِ فى كلِّ عصر** » .

وقال سعيد بن الحكم :

سئل ذو النون : مَنْ أدومُ الناس عناءً ؟

قال :

« **أسوؤهم خُلقاً** » .

قيل : وما علامة سوء الخُلُق ؟

قال :

« **كثرة الخلاف** » .

قال : وسمعت ذا النون يقول :

سئل جعفر بن محمد عن السَّفلة ، فقال :

« **مَنْ لا يبالى ما قال ولا ما قِيلَ فيه** » .

وقال يوسف بن الحسين : سمعت ذا النون يقول :

« **مَنْ تزيَّن بعمله كانت حسناته سيئات** » .

قال : وسمعت ذا النون يقول :

« **أدنى منازل الأُنس أن يُلْقَى فى النار فلا يغيب هَمُّه عن مأموله** » .

وقال نصر بن أبى نصر : قال ذو النون :

« **الخوف رقيب العمل ، والرجاء شفيع المحن** » .

وسئل ذو النون : ما أَخْفَى الحجاب وأشدُّه ؟

قال :

« **رؤية النفس وتدبيرها** » .

وقال إسحاق بن إبراهيم الخوَّاص : سمعت ذا النون يقول :

« مَنْ أدركَ طريق الآخرة : فليكثرْ مساءلة الحكماء ومشاورتهم .. وليكنْ أول شيء يسأل عنه : العقل .. لأن جميع الأشياء لا تُدرك إلا بالعقل .. ومتى أردتَ الخدمة لله فاعقلْ لِمَ تخدم ؟ ثم اخدمْ » .

وقال ذو النون :

« حرَّم الله الزيادة في الذوق ، والإلهام في القلب ، والفراسة في الخُلُق، على ثلاثة نفر: على بخيل بدنياه، سخيٌ بدينه، سيِّئ الخُلُق مع الله » .

فقال له رجل : صِفْ لنا سيِّء الخُلُق مع الله .

فقال :

« يقضي الله تعالى قضاء، ويُمضي قدرًا،وينفذ علماً،ويختار لعبده أمرًا ، فترى صاحب سوء الخُلُق مع الله مضطرب القلب في ذلك كله ، غير راضٍ به ، وإنما شكواه من الله إلى خَلْقه ، فما ظنك ؟ » .

وقال ذو النون :

« مفتاحُ العبادة الفكرة ، وعلامةُ الهوى متابعة الشهوات ، وعلامةُ التوكُّل انقطاع المطامع » .

وقيل لذى النون : متى يأنس العبد بربه ؟

قال :

« إذا خافه أَنِسَ به، وإنما علمتم أنه مَنْ وَاصَلَ الذنوبَ نُحِّيَ عن باب المحبوب » .

وقال :

« مَنْ عَمِيَ عن عيوب نفسه : انكشفتْ له عيوبُ الناس : فَمَقَتَتْهُ القلوب » .

وقال :

« ما أعزَّ الله عبدًا بعزٍّ هو أعزُّ له من أن يدله على ذلٍّ نفسه، وما أذلَّ الله عبداً بذُلٍّ هو أذلُّ له من أن يحجبه عن ذلٍّ نفسه » .

وقال :

« ليس بعاقل مَنْ تعلَّمَ العلمَ فعرف به ، ثم آثر ـ بعد ذلك ـ هواه على عمله .. وليس بعاقل مَنْ طلبَ الإنصافَ من غيره لنفسه ، ولم ينصف مِنْ نفسه غيرَه .. وليس بعاقل مَنْ نَسِيَ اللهَ فى طاعته ، وذكر الله تعالى فى مواضع الحاجة إليه » .

وقال :

« مَنْ وثقَ بالمقادير استراحَ، ومَنْ تقرَّبَ قُرِّبَ، ومَنْ صَفَا صُفِيَ له» .

وعن يوسف بن الحسين ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« أنت ملكٌ مقتدِر ، وأنا عبدٌ مفتقِر .. أسألك العَفْوَ تذللاً ، فأعطنيه تفضُّلاً » .

وقال ذو النون :

« كيف أفرح بعملى ، وذنوبى مزدحمة ؟! .. أم كيف أفرح بأملى ، وعاقبتى مبهمة ؟ ! » .

وقال :

« قد غفلت القلوبُ عنه وهو مُنشِيها ، وأدبرت النفوسُ عنه وهو يناديها : فسبحانه .. ما أمهلَهُ للأنام مع تواتر الآلاء والإنعام !! » .

وقال :

« طُوْبَى لعبد أنصف ربه ، أقرَّ له بالآفات فى طاعته ، وبالجهل فى معصيته ، فإن آخذه بالذنوب رأى عدله ، وإن غفر رأى فضله » .

وعن محمد بن أحمد بن سلمة النيسابورى ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« **يا خراسانى ، احذرْ أن تنقطع عنه فتكون مخدوعاً** » .

قلت : وكيف ذلك ؟

قال :

« **لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه ، فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه** » .

ثم قال :

« **تعلَّقَ الناسُ بالأسباب ، وتعلَّقَ الصِّدِّيقون بولىِ الأسباب** » .

ثم قال :

« **علامة تعلُّق قلوبهم بالعطايا : طلبهم منه العطايا ، ومن علامة تعلُّق قلب الصِّدِّيق بولىِّ العطايا : انصباب العطايا عليه وشغله عنها به** » .

ثم قال :

« **ليكن اعتمادُكَ على الله فى الحال ، لا على الحال مع الله** » .

ثم قال :

« **اعقلْ ، فإن هذا من صفوة التوحيد** » .

وقال :

« **من أعلام الإيمان : اغتمامُ القلب بمصائب المسلمين ، وإرشادُهم إلى ما فيه مصالحهم وإنْ كرهوه** » .

وكان يقول :

« **إن الله ـ تعالى ـ أنطقَ اللسانَ بالبيان ، وافتتحه بالكلام ، وجعل**

القلوبَ أوعيةٌ للعلم .. ولولا ذلك كان الإنسان بمنزلة البهيمة : يُومئ بالرأس ويشير باليد » .

وقال :

« مَنْ راقبَ العواقبَ سَلِم » .

وقال :

« منْ علامة سخط الله تعالى على العبد خَوْفُه مِنَ الفقر » .

وقال :

« مَنْ نَظَرَ فى عيوب الناس عَمِىَ عن عيب نفسه » .

وقال :

« صُدور الأحرار قُبور الأسرار » .

وقال :

« إنما أَحَبَّ الناسُ الدنيا لأنه تعالى جعلها خزانةَ أرزاقهم : فمدُّوا أعينهم إليها » .

وسئل ذو النون : ما الذى أنْصَبَ العباد وأضناهم ؟

قال :

« ذِكْرُ المقام ، وقلَّةُ الزاد ، وخَوْفُ الحساب » .

وقال :

« المتصنِّع يُبْدِى غير الذى هو به .. والصادق لا يبالى على أىِّ جنب وقع » .

وقال :

« ما هَلَكَ مَنْ هَلَكَ إلا بطلبِ أمرٍ قد أخفاه أو إنكارِ أمرٍ قد أبداه » .

وقال :

« الأُنس بالله نورٌ ساطع ، والأُنس بالناس غَمٌّ واقع » .

فقيل له: ما الأنس بالله ؟

قال:

«العلْم والقرآن» .

وكان رضي الله عنه يقول:

« إن الله ـ تعالى ـ لم يمنع أعداءه الجنة بخلاً.. وإنما صَانَ أولياءه الذين أطاعوه أن يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه » .

وقال:

« مفتاحُ العبادةِ الفكرةُ ، وعلامةُ الإصابةِ مخالفةُ النفسِ والهَوَى » .

وكان رضي الله عنه يقول:

« تواضعْ لجميع خَلْق الله تعالى .. وإيَّاك أن تتواضع لمن يسألك أن تتواضع له ؛ فإن سؤاله إيَّاك يدل على تَكَبُّرِه فى الباطن .. وتواضعك له يكون له عونًا على التكبُّر » .

وقال:

« لا تتواضعْ لمتكبِّر ، فتذلَّ نفسك فى غير محلٍّ ، وتُكَبِّر نفسه بغير حق » .

وقال:

« إنما يُختبر ذو البأس عند اللقاء ، وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء، وذو الأهل والولد عند الفَاقَةِ والبلاء ، والإخوان عند نَوَائِبِ القضاء » .

وقال:

« لم يكسبْ محبةَ الناس ـ فى هذا الزمان ـ إلا رجلٌ خَفَّفَ المئونة عليهم ، وأحسنَ القولَ فيهم ، وأطابَ العشرةَ معهم » .

وقال :

« مِنْ علامة سخط الله على العبد أن يخافَ الفقر » .

ومن حكمه :

لَبِسْتُ بِالفقْهِ ثَوْبَ الغِنَى فَصِرْتُ أَمْشِى شَامِخَ الرَّأسِ

وقال :

« لا تسكن الحكمةُ معدةً مُلِئَتْ بالطعام » .

وقال :

« الكريم يُعْطِى قبل السؤال فكيف يبخلُ بعدَه ، ويعذرُ قبل الاعتذار فكيف لا يعذر بعده ؟ » .

وقال :

« مِنَ المُحَالِ أنْ يَحْسُنَ الظَّنُّ ولا يَحْسُنَ منه المَنُّ » .

وقال :

« مِنَ القلوبِ قلوبٌ تستغفرُ قبلَ أنْ تُذْنِبَ ؛ فيُتابُ عليها قبلَ أنْ تَتوبَ » .

وقال :

« سيأتى على الناس زمانٌ تكون الدولة فيه للحَمْقَى على الأكْيَاس» .

قال أبو نعيم :

والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله ـ تعالى ـ الأمانى ، والكيِّس مَنْ دَانَ نفسه وعملَ لما بعد الموت .

وقال :

« إذا صَحَّ اليقينُ فى القلب صَحَّ الخوفُ فيه » .

وقال :

« أكثرُ الناس إشارةً إلى الله فى الظاهر : أبعدُهم من الله .. وأرغبُ الناس فى الدنيا وأخفاهم لها طلبًا : أكثرُهم ذَمّاً لها عند طلابها » .

وقال :

« الاستئناسُ بالناسِ من علامةِ الإفلاس » .

وقال :

« مَنْ عَرَفَ ربه وجدَ طعمَ العبودية ولذة الذكر والطاعة ، فهو بينَ الخَلْق ببدنه ، وقد نَاءَ عنهم بالهموم والخَطَرات » .

وسأل رجل ذا النون : مَنْ أصحبُ مِنَ الناس ؟

قال :

« مَنْ سَقَطَ بينك وبينه صورةُ التحفُّظ ، ومَنْ إذا أذنب تاب ، وإذا مرضتَ عَادَك ، ومَن يعلم منك بعض ما يعلمه الله منك ، فتأمنه على ذلك ويستره عليك » .

وسئل يوماً : فِيمَ يجد العبد الخلاص ؟

قال :

« الخَلاَصُ فى الإخْلاَص ، فإذا أَخْلَصَ تَخَلَّص » .

فقيل : فما علامة الإخلاص ؟

قال :

« إذا لم يكنْ فى عملك صحبةُ المخلوقين ، ولا مخافةُ ذَمِّهم : فأنت مُخْلِصٌ إن شاء الله تعالى » .

وقال ذو النون :

« إن سكتَّ عَلِمَ ما تريد، وإن نطقتَ لم تنل بنطقك ما لا يُريد، وعِلْمُهُ بمرادك ينبغى أن يغنيك عن مسألته ، أو ينحِّيك عن مطالبته » .

وقال :

« إن الطبيعة النقية هى التى تكفيها من العظة رائحتُها ومن الحكمة إشارةٌ إليها » .

وقال :

« أكثر الناس هَمّاً أسْوَؤُهم خُلقاً » .

وسئل ذو النون : مَنْ أدومُ الناس عناء ؟

قال :

« أسْوَؤُهم خُلقًا » .

قيل : وما علامة سوء الخُلُق ؟

قال :

« كثرة الخلاف » .

وقال ذو النون :

« دارتْ رَحَى الإرادة على ثلاث :

على الثقة بوَعْد الله ، والرضا ، ودوام قَرْع باب الله » .

وقال :

« حَقُّ الجليسِ أن تَسُرَّه ، فإن لم تَسُرَّهُ فلا تَسُؤْهُ » .

وقال :

« بصحبة الصالحين تطيبُ الحياة .. والخير مجموع فى القَرِين الصالح : إنْ نسيتَ ذَكَّرك ، وإنْ ذكرتَ أعانك » .

وكان يقول :

« كنا إذا سمعنا شابّاً يتكلَّم بالمجلس أيِسْنا مِنْ خيره » .

وقال :

« اعلمْ أن أعمال الجوارح يصدِّقها عقدُ ضمائر القلوب ..

وقد قال رسول الله ﷺ :

« فى ابن آدم مُضْغَةٌ إنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائرُ الجَسَدِ وَهِىَ القَلْبُ » .

وقال ﷺ :

« لا يستقيمُ إيمانُ عَبْدٍ حتَّى يَستقيمَ لسانُه، ولا يستقيمُ لسانُه حتَّى يستقيمَ قلبُه » .

وقال ذو النون : سمعت عابداً يقول :

« إن لله عباداً أبصروا فنظروا، فلما نظروا عَقَلوا، فلما عَقَلوا عَلِموا ، فلما عَلِموا عَملوا، فلما عملوا انتفعوا، رُفع الحجاب فيما بينهم وبينه ، فنظروا بأبصار قلوبهم إلى ما ذخر لهم من خفىِّ محجوب الغيوب ، فقطعوا كل محجوب ، وكان هو المنى والمطلوب » .

وقيل لذى النون :

ـ ما علامة الأنس بالله ؟

قال :

« إذا رأيتَ أنه يُوحشك مِنْ خَلْقه فإنه يُؤنسك بنفسه، وإذا رأيتَ أنه يُؤنسك بخَلْقه فاعلمْ أنه يُوحشك مِنْ نفسه » .

ثم قال :

« الدنيا لله أَمَةٌ ، والخَلْق لله عَبيدٌ : خَلَقَهُم للطاعة ، وضَمِنَ لهم أرزاقهم ، فحرصوا على أمته وقد نهاهم عنها ، وطلبوا الأرزاق وقد ضمنها لهم ، فلا هم على أمته قدروا ، ولا هم فى أرزاقهم استزادوا » .

وقال ذو النون :

« المستأنسُ بالله فى وقت استئناسه : يستأنس بجميع ما يرى ويسمع ويحسُّ به فى ملكوت ربه ، والهَائب له : يَهَابُ جميعَ ما يرى ويسمع ويحسُّ به فى ملكوت ربه . . ويستأنس بالذَّرِّ فما دونه ويهابه » .

وقال :

« مَنْ آنَسَهُ الله بقُربه أعطاه العِلْمَ بغير تعب » .

وعن أبى عثمان سعيد بن الحكم السلمى ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« مَنْ رسختْ عَظَمَةُ الله فى صدره وجدَ لعبادته طعماً حلواً » .

وقال :

« مِنْ دلائل أهل المحبة بالله ألاَّ يأنسوا بسِوَى الله ، ولا يستوحشوا مع الله ؛ لأن حبيبَ الله مَنْ أنسَ بالله ؛ لأن الله أجلَّ فى صدورهم أن يحبُّوه لغيره »(١) .

قال : وسئل ذو النون : ما فساد القلب ؟

قال :

« فسادُ القلب فسادُ النيَّة : إذا فَسَدَتِ النيَّة وَقَعَتِ البَلِيَّة » .

---

(١) أخرجه البيهقى .

وقال ذو النون :

« إذا لم يكن فى عملك حبُّ ثنـاء المخلوقين ولا مخافةُ ذَمِّـهم : فانت حكيمٌ مُخلص إن شاء الله »[1] .

وقال :

« مَنْ أَحَبَّ اللهَ استقلَّ كلَّ عملٍ يعمله » .

وقال :

« مَنْ لَمْ يعرفْ قَدْرَ النِّعَم سُلِبَها مِنْ حيثُ لا يعلم » .

وقيل له : مَنْ أقربُ إلى الكفر ؟

قال :

« ذو فاقَةٍ » .

وقال :

« ما خلعَ اللهُ على عبدٍ من عبـيده خلْعَةً أحسنَ من العقل ، ولا قَلَّده قلادةً أجـملَ من العلم ، ولا زيَّنه بزينةٍ أفـضلَ من الحِلْم ، وكَمَـالُ ذلك التقوى » .

وقال رجل لذى النون : متى أزهد فى الدنيا ؟

قال :

« إذا زهدتَ فى نفسك » .

وعن يوسف بن الحسين قال :

دخل ذو النون على مريض يعوده فرآه يئنُّ ، فقال :

---

(١) أخرجه أبو نعيم .

« **ليس بصادقٍ فى دعواه مَنْ لم يصبرْ على ضُرِّه** » .

فأجاب المريضُ :

ـ ليس بصادقٍ فى حبه مَنْ لم يتلذَّذْ بضُرِّه .

فقال ذو النونِ :

« **ولا صَدَقَ فى حبه مَنْ رَأى حبه لربه** » .

وعن يوسف بن الحسين ، قال :

قلت لذى النون : متى أخالط الناس ؟

قال :

« **إذا انمحى حُبُّ الدنيا من قلبك** » .

وعن يوسف بن الحسين ، قال : سمعت ذا النون يقول :

كتب إلىَّ بعض إخوانى وقد اعتلَّ : ادعُ الله لى .

فكتبت إليه :

« **سَـألْتَنى أن أدعـو الله لك أن يزيـلَ عنـك النِّقَم ، واعلم يا أخى أن العِلَّة منزلةٌ يأنس إليهـا أهل الصَّفَا والهِمَم ، ومَنْ لم يَعُدَّ البـلاءَ نِعمةً فليس من الحكمة فى شىء ؛ فاسْتَرِحِ من الله أن تشكوه .. والسلام** » .

وعن يوسف بن الحسين ، قال :

سمعت ذا النون يقول :

« **إخراجُ الموجود حُسْنُ ظنٍّ بالمعبود** » .

قال : وسئل ذو النون عن اسم الله الأعظم ، فقال :

ـ هو ذا ، أنا أقرأه عليكم فتعلَّموا . . فقرأ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾[1].

وقرأ:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[2].

ثم قال:

« إذا قرأتَ بهذا على ما تحبُّ يَنْفَسِحُ لك ».

---

(١) سورة الحشر: ١٨ ـ ٢٤. (٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

وعن يوسف بن الحسين، قال:

سمعت ذا النون يقول:

« إذا سألنى السائل، وكان مُسْتَحِقّاً للجواب؛ استفدتُ نصفَ الجواب من مسألته ».

وعن أبى عثمان سعيد بن الحكم، قال:

سمعت ذا النون يقول:

« ما طَابَتِ الدنيا إلا بذِكْره، ولا طابتِ الآخرةُ إلا بعفوه، ولا طابتِ الجنانُ إلا برؤيته ».

وعن محمد بن أحمد بن عبد الله، قال:

سمعت ذا النون يقول:

« طُوْبَى لمن كان شعارُ قلبه الوَرَع، ولم يُعْمِ بَصَرَ قلبهِ الطَّمَع، وكان محاسِباً لنفسه فيما صَنَع ».

وقال:

«لا عَيْشَ إلا مع رجال تحنُّ قلوبهم إلى التقوى، وترتاحُ إلى الذِّكْر».

ودقَّ عليه رجلٌ البابَ فشوَّش وقته، فنظر إليه من عالم الهيئة.. وقال:

« اللهمَّ مَنْ شَغَلنى عنكَ فاشغلْهُ بكَ ».

وعن عبد الله بن سهل، قال:

سألت ذا النون فقلت:

- متى أعرف ربى؟

قال :

« إنّا كانَ لكَ جليساً ، ولم تَرَ لنفسكَ سِواهُ أنيساً » .

قلت : فمتى أحبُّ ربى ؟

قال :

« إذا كان ما أَسْخَطَهُ عِنْدَكَ أمرَّ من الصبر » .

قلت : فمتى أشتاق إلى ربى ؟

قال :

« إذا جعلتَ الآخرةَ لكَ قَرارًا، ولم تُسَمِّ الدنيا لكَ مسكناً وداراً » اهـ .

* * *